

## ٩- غزوة أُحُد

### ١- بين يدي الغزوة:

هي الغزوة التي اجتمع فيها النصر والهزيمة، وظهر فيها النفاق بأظهر علاماته وأجلى صفاته، والإيمان وما يفعله في النفس البشرية من الاستعلاء على الشهوات، والإخلاص لرب الأرض والسموات.

الغزوة التي كانت درسًا عمليًا للصحب الكرام، وإن كان الثمن غاليًا من القتلى والجرحى، وما أصاب المصطفى ﷺ، إلا أن الدرس باقٍ على مر العصور، يتعلم منه المسلمون أسباب النصر وأسباب الهزيمة ثمار التوكل على الله والثقة به، وآثار التطلع إلى الدنيا والرغبة في أعراضها وشهواتها، ولقد كانت الدروس القرآنية وإيقاف الصحابة على مواطن الدرس والعظة رقيقة لطيفة تناسب النفوس المكلمة، والأبدان التي أصابها القرح، فبينما قال الله عزَّ وجلَّ لهم بعد غزوة بدر وهم في فرحة النصر وعافية الأبدان: ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٧ ۝ لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَهَدْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٨].

قال لهم بعد أُحُد: ﴿ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأنفال: ١٥٢]

ثم كيف عزاها الله عزَّ وجلَّ بهذا العزاء الرقيق فذكرهم بعقوبة المكذبين، وأن هذه جولة عارضة، من أجل التربية والتمحيص، ولكن السنة الدائمة أن الله عزَّ وجلَّ يمكن لعباده المؤمنين، وتكون العقوبة للمتقين، والهلاك للمكذبين فقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۝١٣٧ ۝ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٣٧ - ١٣٩].

والحرب دُول بين أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ وأعدائه، ولكن العاقبة في النهاية للمتقين، وأهل الحق الله مولاهم وحسيبهم وكفيلهم وعليه إثابتهم، وأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ لا مولي لهم، فالشهداء يحاسبهم المؤمنون عند ربهم ويعلمون أن ما لهم عند الله خير من الدنيا وما فيها، وما من مكلوم يُكَلِّمُ في سبيل الله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا أتى يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا اللون لون الدم والريح ريح المسك. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ<sup>٥</sup> وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٤٠].

## ٢- أحداث الغزوة:

بعد أن أصيبت قريش في عظمائها، وأئمة الكفر فيها يوم بدر وقلوبهم تغلي حقدًا وحنقًا وغيظًا على المسلمين، فعبأت قوتها، واستعانت بحلفائها، وخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ووافت مشارف المدينة بعد سنة وشهر تقريبًا من غزوة بدر في منتصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة على الراجح.

وما علم النبي ﷺ بمسيرهم استشار أصحابه، وكان النبي ﷺ قد رأى رؤيا تشير إلى ما حدث: عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهيلى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإن هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضًا بقرًا والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد»<sup>(١)</sup>.

فلما شاور النبي ﷺ أصحابه أشار عليه الشباب، ومن حرم من شهود بدر وغلبه الشوق إلى الجهاد وملاقاة العدو بالخروج إليهم، وكان من رأيه ﷺ

(١) رواه البخاري (٤٢١/١٢) التعبير، ومسلم (٣٢، ٣١/١٥) «الرؤيا»، وابن ماجه [٣٩٢١] «الرؤيا».

ورأى الشيوخ وكذلك عبدالله بن أبي ابن سلول المكث في المدينة ومقاتلتهم إذا دخلوها في الأزقة ومن أسطح البيوت.

روى أحمد عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحرة فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير»، قال فقال لأصحابه: «لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم» فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا في الإسلام؟ قال عفان في حديثه فقال: شأنكم إذا قال: فلبس لأمته. قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا. فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»<sup>(١)</sup>.

فخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش<sup>(٢)</sup>، وبينما هو في الطريق انسحب من الجيش عبدالله بن أبي رأس النفاق بثلاث الجيش - ثلاثائه مقاتل - وكانت هذه أول فائدة من فوائد هذه الغزوة، وهي تمييز المنافقين، والفصل بينهم وبين المؤمنين الصادقين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّحِي الْجَمْعَانِ فَبَادِنِ اللَّهُ وَيَلْعَلُمُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَيَلْعَلُمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [الْحَجَرَانِ: ١٦٦-١٦٧]<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (٣/٣٥١)، والدارمي (٢/١٢٩، ١٣٠)، وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم (٢/١٢٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والألباني. وله بقية سوف نذكرها في موضعها من حديث ابن عباس.  
(٢) قال محمد بن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في النصف الأول من شوال قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.  
(٣) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم وفرقة تقول: لا نقاتلهم فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَعْتَنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النِّسَاءُ: ٨٨]، وقال: «إنها طيبة تنقي الذنوب كما تنقي النار خبث الفضة»، رواه البخاري (٧/٤١٢).

وتعلل عبدالله بن أبي بآن النبي ﷺ خالفه وأخذ يقول غيره وأكذبه الله عَزَّ وَجَلَّ في كل ما ادعاه بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٦٧].

وهذا الغدر من النافقين هو المتوقع منهم، لأن الدافع للبذل والتضحية هو الإيثار بالله عَزَّ وَجَلَّ والرغبة في ثوابه ورضاه فإذا عدم الإيثار فلائى شيء يعرض المتناقض نفسه للخطر، وكادت هذه الخيانة أن تؤثر في بعض المؤمنين إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ عصمهم من ذلك لحبهم لله عَزَّ وَجَلَّ والرغبة في نصرته دينه كما قال النَّجَّارِيُّ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٢٢]، وهم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس.

عن جابر رضي الله عنه قال: «فيما نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٢٢] نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: فظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يومئذ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير ابن العوام، وعلى الأخرى المنذر ابن عمرو، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغره عن القتال وكان منهم عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأجاز من رآه مطيقاً وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج ولهما خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٧٣/٨) التفسير، ومسلم (٦٦/١٣، ٦٧) فضائل الصحابة. قال القاسمي: أي لفرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك المهمة ما أخرجتهم عن ولاية الله تعالى «محاسن التأويل» (٢١٦/٤).

(٢) باختصار من زاد المعاد (٣/١٩٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وكان عدد جيش المسلمين بعد رجوع عبدالله بن أبي بثلث الجيش سبعمائة مقاتل وأوقف النبي ﷺ عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة يحمون ظهورهم وأمرهم أن لا يفارقوا أماكنهم.

وتعبأت قريش للقتال في ثلاث آلاف، وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد ابن الوليد، وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل. وبدأ القتال بانتصار ساحق للمسلمين.

روى الحاكم في «مستدركه» عن ابن عباس قال: «ما نصر النبي ﷺ في موطن كما نصر يوم أحد، قال الراوي عنه عبيد الله بن عتبة فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله عز وجل، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٥٢]، وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا، فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكشف الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم هكذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ورجال المسلمون جولة نحو الجبل..»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الحاكم (٢/٢٩٦) التفسير، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبدالله وقال: لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا، فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فاخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبدالله: عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً.

وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تُجيبوه فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقني الله عليك ما يخزيك».

قال أبو سفيان: أعلو هبل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ماذا نقول: قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه». قالوا: ماذا نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وتجدون مثلة لم أمر بها ولم تسؤني<sup>(١)</sup>.

وأشيع بين الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: «فأثابكم غمًّا بغم».

فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ، بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم أن نبيكم قد قتل، وميل العدو عليكم ونبوكم منهم<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٠٥ / ٧) المغازي.

(٢) «جامع البيان» (٩١ / ٤) ط. «دار المعرفة» بيروت لبنان.

ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. وفر كثير من الصحابة رضي الله عنهم وعفا الله عز وجل بفضلته ورحمته عنهم كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَصَبُوا نُجُودًا وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَانِكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم نفر قليل منهم طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وأبو دجاجة وأبو طلحة الأنصاري كما نزلت ملائكة من السماء تقاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

عن قيس قال: «رأيت يد طلحة شلاءً وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد» (٢).

قال الحافظ: وقع بيان عند الحاكم في الإكليل من طريق موسى بن طلحة، «جرح يوم أحد تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشلت إصبعة، أي السبابة والتي تليها». وللطياشي من طريق عيسى بن طلحة عن عائشة قالت: «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: كان ذلك اليوم كله لطلحة. قال: كنت أول من فاء فرأيت رجلاً يقاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقلت: كن طلحة، قلت: حيث فاتني يكون رجل من قومي، وبينه وبينه رجل من المشركين، فإذا هو أبو عبيدة»، فانتبهنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

(١) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهبوه قال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم رهبوه فقال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه: «ما أنصفنا أصحابنا» رواه مسلم (١٢) / (١٤٧، ١٤٨) الجهاد.

(٢) رواه البخاري (٤١٦/٧) المغازي.

«دونكما صاحبكما»، يريد طلحة، فإذا هو قد قطعت إصبعه، فلما أصلحنا من شأنه» وفي حديث جابر عند النسائي: «فأدرك المشركون رسول الله ﷺ فقال: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا» فذكر قتل الذين كانوا معها من الأنصار (١).

ومن قاتل بين يديه ﷺ ونال هذا الشرف العظيم في هذه الساعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: «أرم فداك أبي وأمي» (٢).

ومن هؤلاء الأبطال الذي أبلوا بلاءً حسناً يوم أحد أبو طلحة الأنصاري. عن أنس قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ محبوب عليه بجحف له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة فقال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنيهما لمشمرتان أرى خدام سوقهما، تتقزان القرب على متونها تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأته ثم تحيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبو طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً» (٣).

ومن الذين قاتلوا بين يديه ﷺ ملائكة من السماء، عن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض ما رأيتها قبل ولا بعد» (٤).

(١) فتح الباري (٧/ ٤١٨) المغازي.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٤١٥) المغازي.

(٣) رواه البخاري (٧/ ٤١٨) المغازي، ومسلم (١٢/ ١٨٩) «الجهاد والسير».

(٤) رواه البخاري (٧/ ٤١٤، ٤١٥) المغازي، ومسلم (١٥/ ٦٦) الفضائل. قال النووي: فيه: بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم

قال الحافظ: هما جبريل وميكائيل، كذا وقع في مسلم من طريق أخرى عن مسعر، وفي آخره «يعني جبريل وميكائيل».

وَجُرِحَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدَ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، وَهَشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ -بَأَبِي هُوَ وَأُمِّي- . عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أَحَدَ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ» (١) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

[الْعَنْكَبُوتُ: ١٧٨]

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدَ فَقَالَ: «جرح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدم، وكان على ابن أبي طالب يسكب عليه بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيده إلا كثرة، فأخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم» (٢).

وبعد أن اشتد الكرب والغم بالمؤمنين ومحض الله قلوبهم، وابتلى ما في صدورهم، واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمناً ونعاساً أصاب الصادقين منهم فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيئة فقد أهتمهم أنفسهم، وتلاعبت بهم الشياطين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ

=لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه وفيه: فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه: منقبة لسعد بن أبي

وقاص الذي رأى الملائكة والله أعلم. «شرح النووي» (١٥/٦٦).

(١) رواه مسلم (١٢/١٤٩) الجهاد والسير.

(٢) رواه مسلم [١٧٩٠] الجهاد والسير، والبخاري (٧/٤٣٠، ٤٣١) المغازي.

ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ <sup>ط</sup> يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ <sup>ط</sup> وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ <sup>ط</sup> وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٥٤].

قال الأستاذ سيد قطب: ولقد أعقب هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب، سكون في نفوس المؤمنين الذين ثابوا إلى ربهم، وثابوا إلى نبيهم، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون إليه مطمئنين! ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٥٤].

وهي ظاهرة عجيبة، تشعر برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين، والنعاس حين يلم بالمجاهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً، أما الطائفة الأخرى: فهم ذوو الإيثار المزعزع الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم، والذين لم يتخلصوا من تصورات الجاهلية، ولم يسلموا أنفسهم كلها لله خالصة، ولم يستسلموا بكليتهم لقدره، ولم تطمئن قلوبهم إلى أن ما أصابهم إنما هو ابتلاء للتمحيص وليس تحلياً من الله عن أوليائه لأعدائه، ولا قضاء منه سبحانه للكفر والشر والباطل بالغلبة الأخيرة والنصر الكامل.

إن هذه العقيدة تعلم أصحابها فيما تعلم أن ليس لهم في أنفسهم شيء فهم كلهم لله، وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له، ويتحركون له ويقاثلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد<sup>(١)</sup>. عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: « كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وأخذه، ويسقط فأخذه»<sup>(٢)</sup>.

(١) باختصار من «الظلال» (١/٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٢٢/٧) المغازي.

ولما تركت قريش ساحة القتال اشتغل النبي ﷺ بدفن الشهداء وأمر بدفنهم في دمائهم وثيابهم، ولم يغسلوا، ولم يُصل عليهم، وأمر بدفنهم في أماكن استشهادهم. عن جابر بن عبد الله: «لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في عن مقابرنا، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «ردُّوا القتلى إلى مضاجعهم»<sup>(١)</sup>. وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن» فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد حنَّ إليهم رسول الله ﷺ فصلى عليهم قبل وفاته، فكان كالودع لهم. عن عقبة أن النبي ﷺ: «خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم...»<sup>(٣)</sup>.

### فصل في مصارع الأبطال وأكابر الشهداء

ويشتمل هذا الفصل قصص استشهاد الأكابر بعد أن أبلوا أحسن البلاء وكانوا أمثلة نادرة للشجاعة والفداء، نسأل الله أن يجمعنا بهم في دار الشهداء وأن ينفع بحبهم والنسج على منوالهم من يشاء من الأولياء.

#### ١ - قصة استشهاد سيد الشهداء حمزة:

وحمزة هو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أسد الله وأسد رسوله، الأسد الهادر الذي طالما أطار بسيفه هامات الكفار، وكان قتله غدرًا ولم يكن في ساحة النزال، حيث يتقابل الأبطال.

(١) رواه أحمد (٣/٣٩٨) بطوله ومختصرًا في (٣/٣٠٨) والنسائي (٤/٧٩) مختصرًا في الجنايز وابن ماجه [١٥١٦] الجنايز، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٧/٤٣٣) المغازي، والترمذي (٤/٢٥٣) الجنايز، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه [١٥١٤] الجنايز.

(٣) رواه البخاري (٧/٤٣٦، ٤٣٧) المغازي.

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار فلما قدمنا حمص قال لي عبيدالله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشى يسكن حمص فسألنا عنه فقبل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت<sup>(١)</sup>. قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا فرد السلام قال: وعبيد الله متعجز بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيدالله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلامًا بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فكأنني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر، قال: فلما خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله ﷺ، قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحرتي، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً، فقبل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأيته قال: «أنت وحشي؟». قلت: نعم. قال: «أنت قتلت

(١) قوله: «حميت» بوزن رغيف أي زق كبير ما يقال ذلك إذا كان مملوءًا. قوله: «أسترضع له» أي: أطلب من يرضعه، زاد في رواية ابن إسحاق «والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك فلمعت لي قدمك حين رفعتك فما هو إلا أن وقفت علي فعرفتها». قال الحافظ: وهذا يوضح قوله في رواية الباب «فكأنني نظرت إلى قدميك» يعني أنه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمله فكأنه هو هو بين الرؤيتين قريب من خمسين سنة فدل ذلك على ذكاء مفرد ومعرفة تامة بالقافة «فتح الباري» (٧/٤٢٦).

حمزة؟» قال: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟» قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ، فخرج مُسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مُسيلمة لعلّي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أوراق نائر الرأس، قال: فرميت به بحررتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته (١).

## ٢- قصة استشهاد أنس بن النضر رضي الله عنه :

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون قال: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين» ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: «يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد». قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضغاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [الْحُرَاب: ٢٣] (٢).

(١) رواه البخاري (٤٢٤/٧، ٤٢٥) المغازي قوله: «كأمس الذاهب» هي كناية عن قتله أي صيره عدماً. قوله: «في ثلثة» هي العانة وقيل: ما بين السرة والعانة. قوله: «جمل أوراق» أي لونه مثل الرماد من غبار الحرب.

(٢) رواه البخاري (٣٥٤/٧، ٣٥٥)، ومسلم (٤٨، ٤٧/١٣) الإمامة، والترمذي (١٢/٨٠، ٨١ عارضة) التفسير. وقوله: «فما استطعت يا رسول الله ما صنع» أي أصنع مثل ما صنع أو أصف ما صنع.

٣- قصة استشهاد عبد الله بن حرام، والد جابر رضي الله عنه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما قُتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكى وينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»<sup>(١)</sup>.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما حضر قتال أحد دعاني أبي من الليل فقال: إني لا أراي إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني والله ما أدع أحداً يعني أعزُّ عليّ منك بعد نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن عليّ ديناً فاقض عني ديني، واستوص بإخوتك خيراً قال: فأصبحنا فكان أول قتيل، فدفنته مع آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لا يكلم أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاً فقال: تمن علي» وذكر الحديث<sup>(٣)</sup>.

٤- قصة استشهاد اليمان، والد حذيفة رضي الله عنه :

عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع اليمان بن جابر أبي حذيفة وثابت بن وقش بن زعوراء في الأطم مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما ننتظر فوالله ما بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار<sup>(٤)</sup>، وإنما نحن هامة القوم<sup>(٥)</sup>، ألا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله

(١) رواه البخاري (١٣٥ / ٣) الجناز.

(٢) رواه الحاكم (٢٠٣ / ٢) معرفة الصحابة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه الحاكم (٢٠٤ / ٢) معرفة الصحابة وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) قال السهيلي: إنما قال ذلك لأن الحمار أقصر الدواب ظمأً والإبل أطولها أظاء.

(٥) في «أسد الغابة»: إنما نحن هامة اليوم أو غداً.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخلوا في المسلمين ولا يعلمون بها، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبي حذيفة فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. فقال حذيفة أبي حذيفة فقالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يديه، فتصدق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

#### ٥- قصة استشهاد عمرو بن الجموح:

وكان أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، والله إني لأرجو أن استشهد، فأطأ بعرجتي في الجنة. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتل يوم أحد شهيداً (٢).

#### ٦- قصة استشهاد عبد الله بن جحش حوَّيْلُهُ عَنْهُ:

عن سعيد بن المسيب قال: «قال عبد الله بن جحش: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونني ويمدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بما ذاك فأقول فيك، قال سعيد بن المسيب: إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله» (٣).

(١) رواه الحاكم (٢٠٢/٣) معرفة الصحابة، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرج البخاري الجزء الأخير في قتل اليمان في «صحيحه» (٤١٨/٧) المغازي.  
(٢) رواه ابن هشام (١٣٩/٢) عن ابن إسحاق، وبعضه في المسند (٢٩٩/٥) من حديث أبي قتادة وصحح الألباني إسناده في تحقيق «فقه السيرة» هامش [٢٨١].  
(٣) رواه الحاكم (٢٢٠، ١٩٩/٣) معرفة الصحابة وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: لكن له شاهد موصول، وأخرجه البغوي كما في «الإصابة» من طريق

٧- قصة استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه :

قال ابن إسحاق: «وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل، قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً»<sup>(١)</sup>.  
وعن خباب قال: «هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نبتغي وجه الله فوق أجرتنا على الله، فمننا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غطوا رأسه واجعلوا على رجله من الإذخر ومننا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها»<sup>(٢)</sup>.

فصل في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد

أشفق النبي صلى الله عليه وسلم من أن يعود جيش أبي سفيان إلى المدينة، ونما إلى علمه أنه يفكر في ذلك، فدعا الصحابة رضي الله عنهم إلى الخروج فلم يستسلموا للأحزان على الشهداء، ولا للجراح التي بهم، وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج معه إلا من خرج معه بالأمس، فخرجوا حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التحريم: ١٧٢] قالت لعروة: يابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن

=إسحاق بن سعد بن أبي وقاص: حدثني أبي أن عبدالله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد في آخره قال سعد: «فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقتان في خيط».

(١) رواه ابن هشام (٧٣/٢)، وابن سعد (٨٥/١/٣)، وانظر سير أعلام النبلاء (١/٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤٣٣/٧) المغازي.

يرجعوا قال: من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً. قال: كان فيهم أبو بكر والزبير<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: قوله: «باب: الذين استجابوا لله والرسول» أي سبب نزولها وأنها تتعلق بأحد. قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت لنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له وإنما خرج مُرهَبًا للعدو وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعد بن أبي معبد الخزاعي فيما حدثني عبد الله بن أبي بكر، فعزاه بمصاب أصحابه، فأعلمه أنه لقي أبا سفيان ومن معه وهم بالروحاء وقد تلوموا في أنفسهم وقالوا: أصبنا جل أصحاب محمد ﷺ وأشرفهم وانصرفنا قبل أن نستأصلهم وهموا بالعودة إلى المدينة، فأخبرهم معبد أن محمداً قد خرج في طلبكم في جمع لم أر مثله ممن تخلف عنه بالمدينة قال: فثناهم ذلك عن رأيهم فرجعوا إلى مكة. وعند عبد بن حميد من مرسل عكرمة نحو هذا<sup>(٢)</sup>.

#### الفوائد والآثار الإيمانية:

استفاض ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في ذكر الفوائد الفقهية والحكم والغايات المحمودة التي كانت في هذه الغزوة، وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ إذا تكلم في مسألة أعيان من بعده أن يأتي بمزيد، وصار من بعده عالية عليه في هذه المسألة، وسوف نختصر ما ذكره رَحِمَهُ اللهُ، وإذا تيسر مزيد ذكرناه والله يتولانا وإياه برحمته ورضاه ونبيلغنا من الآمال فوق ما نتمناه:

(١) رواه البخاري (٤٣٢/٧) المغازي، ورواه مسلم مختصراً (١٥/١٩١) فضائل الصحابة.

(٢) «فتح الباري» (٤٣٢/٧) والمشهور في كتب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون، وظاهر رواية البخاري أن الذين خرجوا سبعين فالله أعلم بالصواب وقد جمع بعض العلماء بأن السبعين سبقوا إلى حمراء الأسد ثم تبعهم الباقون.

١- قال ابن القيم رحمته الله ما ملخصه فصل فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام

الفقهية منها:

- أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى إن من لبس لأمته وشرع في أسبابه، وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن الخروج، حتى يُقاتل عدوه.
- أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوهم فيها.
- جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته، وإن لم يرض المالك.
- أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين.
- جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد.
- جواز الانغماس في العدو كما انغمس أنس بن النضر وغيره.
- أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعدًا.
- جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله.
- أن السنة في الشهيد أنه لا يُغسل، ولا يُصلي عليه، ولا يُكفن في غير ثيابه، بل يُدفن فيها بدمه وكلومه، إلا أن يسلبها فيُكفن في غيرها.
- أن السنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم، ولا يُنقلوا إلى مكان آخر.
- جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد، ويقدم أكثرهم قرآنًا.
- أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد يجوز له الخروج وإن لم يجب عليه.
- أن المسلمين إذا قتلوا واحدًا منهم في الجهاد يظنونهم كافرًا فعلى الإمام ديتة من بيت المال<sup>(١)</sup>.

(١) باختصار من «زاد المعاد» (٣/ ٢١١، ٢١٨).

٢- وقال ابن القيم رحمته الله ما ملخصه: فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد:

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة «العنكبوت» حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْبِقَاتِ﴾ [العنكبوت: ٢٢١]. إلى تمام ستين آية: فمنها:

- تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال عالي: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً وبقظة وتحزناً من أسباب الخذلان.

- أن حكمة الله في رسله وأتباعهم جرت بأن يدلوا مرة ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، وليتميز الصادق من غيره كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة، ونُدال عليه الأخرى قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة (١).

- أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق. كما قال عالي: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ١٧٩].

(١) رواه البخاري (١/ ٣٠، ٤١) «بدء الوحي».

- استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون ويكرهون، فإذا ثبتوا فهم عبيده حقاً.

- أنه سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لعبادة بحكمته.

- أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة ذلوا وانكسروا فاستوجبوا العز والنصر، كما قال العجالي: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الأنفال: ١٢٣].

- أنه سبحانه هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها.

- أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار والآخرة.

- أن الله سبحانه يجب أن يتخذ من عبادة شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ولا سبيل إلى هذه الدرجة إلا بالأسباب المفضية إليها.

- أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قويض لهم الأسباب، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقتهم وهلاكهم، كما قال العجالي: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤١].

أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ فثبتهم ووبّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل بل الواجب عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤٤].

## ٣ - قال محمد الغزالي ما ملخصه:

ولئن أفادت وقعة بدر في خذل الكافرين، فإن وقعة أحد أفادت مثلها في فضح المنافقين ورُبَّ ضارة نافعة، وربما صحت الأجساد بالعلل.

ولعل ما ترتب على عصيان الأوامر في هذه الموقعة درس عميق، يتعلم منه المسلمون قيمة الطاعة، فالجماعة التي يحكمها أمر واحد، والتي تغلب على أفرادها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام، بل لا تشرف نفسها في حرب أو سلام، والأمم كلها مؤمنها وكافرها تعرف هذه الحقيقة.

وأسرع الناس إلى الشغب والتمرد من أقصوا من الرئاسة وهم إليها طامحون، وكان عبدالله بن أبي مثلاً لهذه الفئة التي تضحي بمستقبل الأمة في سبيل أطماعها الخاصة، أما الرُّماة الذين عصوا الأوامر بلزوم أماكنهم مهما كانت أطوار القتال فقد مرت بهم فترة ضعف وذهول تيقظت خلالها بقية في أنفسهم من حب الدنيا والإقبال على عرضها الزائل فكان أثر ذلك ما كان، ولذلك لما دهش المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور بين الله لهم أنهم هم مصدرها فما أخلفهم موعداً وظلمهم حقاً. ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْحَمْرَان: ١٦٥] (١).

٤ - قال القاسمي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْحَمْرَان: ١٥٢] أي كفكم عنهم حتى حالت الحال، ودالت الدولة، وفيه من اللطف بالمؤمنين ما لا يخفي، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي ليجعل ذلك الصرف محنة عليكم لتتوبوا إلى الله، وترجعوا إليه وتستغفروه فيما خالفتم فيه أمره وملتم إلى الغنيمة، ثم أعلمهم أنه تعالى قد عفا عنهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾

(١) «فقه السيرة للغزالي» (٢٨٦، ٢٨٧).

أي تفضلاً عليكم لايانكم، ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي في الأحوال كلها، إما بالنصرة وإما بالابتلاء، فإن الابتلاء فضل ولطف خفي، ليمرنوا بالصبر على الشدائد والثبات في المواطن، ويتمكنوا في اليقين، ويجعلوا ملكة لهم، ويتحققوا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا يميلوا إلى الدنيا وزخرفها ولا يذهلوا عن الحق، وليكون عقوبة عاجلة للبعض فيتمحصوا عن ذنوبهم، وينالوا درجة الشهادة، فليقوا الله طاهرين، أفاده القاشاني.

إلى أن قال: فائدة قوله تعالى: ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٥٢] التنبيه على عظم المعصية لأنهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بإنجاز الوعد وكان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبوا ذلك الإكرام. وقال ظاهر قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ أنه تعالى عفا عنهم من غير توبة لأنها لم تذكر، فدل على أنه تعالى قد يعفو عن أصحاب الكبائر.

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ دليل على أن صاحب الكبيرة مؤمن، فإن الذنب في الآية كان كبيرة (١).

٥- وقال الغزالي؛ على أن المسلمين دفنوا موجدتهم في أفئدتهم، ولم يستسلموا لأحزاب المصاب الذي حل بهم، وكان تكاثر خصومهم حولهم سبباً في أن يقاوموا عوامل الخور، وأن يبدوا للناس بقية من قوة ترد عنهم كيد المتربصين على نحو ما قال الشاعر.

وَتَجَلُّدِي لِلسَّامِتِينَ أُرِيهِمْ      أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ (٢)

(١) باختصار من «محاسن التاويل» (٤/٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) «فقه السيرة للغزالي» [٢٩٠].